

حبيب الشرتوني ضي الحمرا: هذا رأيي ضي اغتيالك بشير الجميل

العالمي لعلماء المقاومة» الشيخ ماهر حمّود. وعلّق المشاركون على حكم الإعدام الصادر بحق المقاومين الراحل نبيل العلم وحبيب الشرتوني في تشرين الأوّل الماضي بـ«جرم» اغتيال رئيس الجمهورية السابق بشير الجميل. وتليت في اللقاء كلمة من المقاوم حبيب الشرتوني، تنشر «الأخبار» نصّها الكامل:

بدعوة من «هيئة دعم المقاومة ومناهضة التطبيع والصهيونية»، عقد أمس لقاء في فندق الكومودور في الحمرا، تحدّث فيه النائب السابق نجاح واكيم والمحامي بشري الخليل (وكيلة حبيب الشرتوني) والعضو المؤسس في «حملة مقاطعة داعمي إسرائيل في لبنان» سماح إدريس، والمحامي غسان مرعي (تيار النهضة)، ورئيس «الاتحاد

(مروان طحطح)



يقتل خلايا حميدة إلى جانب الخبيثة منها أثناء المعالجة، يكون قد ارتكب فعلاً جرمياً أو خطياً؟!

وبما أنّ الاغتيال السياسي هذا لم يعتره أيّ هدف شخصي أو مادي، وبما أنّ كلّ الصّف القومي والوطني والإسلامي قد استفاد منه دون أن يهتمّ على الأقل بمن عفو استصدرت في ما بعد على قياس جرائم سمير جعجع والأصوليين، ما لا علاقة له بتاريخ القوانين التي تشمل حالات ولا تسمي الجرائم باسمائها.

وما دام سيصدر قانون عفو جديد يوازى بين عملاء إسرائيل الفارين إليها والموقوفين الإسلاميين ومهربي المخدرات ومرؤجبيها، وما دام قد صدر حكم مبرمّ

بالإعدام على حبيب الشرتوني من أعلى سلطة قضائية وبضغوط وأوامر مباشرة من رئيس الجمهورية - كما قال القضاة بأنفسهم - مع ما رافق ذلك من مغالطات قانونية فادحة ومن عدم احترام لاستقلالية القضاء، بقي أن نحاول بالأساليب الممكنة والمتاحة متابعة هذه القضية حتى الأخير من دون كلل أو تراجع، في الوقت الذي يتخصّر فيه المرشحون لتقديم طلبات ترشيحهم لانتخابات المجلس النيابي، كما يتخصّر الناخبون لإختيار ممثليهم من بينهم، علّ بعضهم يقلل من الأمانة الفردية المعاكسة لمصلحة الناس العامة ويدرج هذا الملف ضمن برنامج مدرّس وصالح للتنفيذ، ليحسنّ الآخرون الاختيار، فلا يكرسوا بذلك تسمية الندوة البرلمانية التي تضمّ من بين معانيها انضمام هؤلاء إلى نارٍ خاص بهم وبأربابهم الذين أوصلوهم إليها، بل يبدؤون بعملية نقل لبنان من طور التشرذم الطائفي والتخلف العلمي والإفلاس الاقتصادي والعجز الإداري إلى طور المواطنة والحداثة والازدهار ونظام المؤسسات الديمقراطي.

حبيب الشرتوني

أنّ تخمد نيرانها في اتفاق الطائف. والدستور اللبناني واضح في بنديه المعاقبين للمتعامل مع العدو حتى الإعدام، والجميع يعرف بالوقائع الثابتة كيف أنّ بشير الجميل أسس ميليشيات نظامية تحت مسمى الوحدات المركزية للمجلس الحربي وتعدادها 22 ألفاً بإمرته، وأقام مؤسسات عامة مستقلة في مناطق نفوذه على حساب مؤسسات الدولة، وحفر إسرائيل مراراً لإجتياح لبنان حتى عشية انتخابات رئاسة الجمهورية ليكمل مشروعه الانعزالي بالتحالف معها. وقد أيدته إدارة الرئيس ريغن التي أرسلت فيليب حبيب في ذلك الوقت لسحب الصواريخ السورية من البقاع قبيل بدء الاجتياح.

والتشريع في لبنان كالتشريع في دول كثيرة حول العالم سمح لأي فرد بالقيام بواجبه في الدفاع عن وطنه ومجتمعه إذا عجزت الدولة عن ذلك، والذين عاشوا تلك المرحلة يعرفون كيف أتوا بنواب الأمة لينتخبوا بشيراً تحت السلاح الإسرائيلي وفي تكتية عسكرية، أمّا بالتهديد أو بالترغيب ببعض الأموال والمكاسب السياسية، حتى إن بعضهم قد استبيح قتله بسبب معارضته الرضوخ.

يصنّفون العملية بالإرهابية لأنها أوقعت مدنيين أبرياء إلى جانب الشخص المستهدف، فهل حضور الحرب بما توقعه من ضحايا لا علاقة لها بمجريات أمرٍ مستغرب وغير واقعي؟

وهل وقوع ما يزيد على مئتي ألف ضحية من اللبنانيين وحدهم دون غيرهم من الجنسيات نتيجة حروبهم الطائفية والأهلية المفتعلة، كما حروبهم التحريرية والإلغائية العنيفة واجتياحاتهم المبرمجة وطموحهم لاعتلاء المناصب والجلوس على الكراسي قبل مرحلة الجميل وبعدها، لم يكن إرهابياً؟!

وهل الطبيب الذي يستأصل عضواً من الجسم كي لا يموت الجسم بكامله، أو

إذ كيف يُفسّر أن حبيب الشرتوني هو الشخص الوحيد من بين كلّ اللبنانيين الذين اشتركوا في حرب لبنان، ما زالت قضيته عالقة، فيما حُلّت كل القضايا المتعلقة بالحرب من دون استثناء، بما فيها للذين ارتكبوا جرائم دنيئة أو مجازر بحق الأبرياء أو للذين حاولوا قتل بشير وقتلوا ابنته فيما تقع محاولة الاغتيال وفق القانون الصادر تحت بند الاغتيال ذاته؟!

فإذا كان الملف المصادر مني والذي لم يدخل في الأصل دوائر القضاء في الدولة هو السبب الواقف وراء ذلك، عندما باع أمين الجميل محتواه القيم إلى أربابه في الولايات المتحدة وإلى أكثر من جهة مستفيدة، سواء في الداخل أو الخارج، فأماست رغباته مُستجابة، فليعلم هؤلاء

هل وقوع ما يزيد على مئتي ألف ضحية نتيجة حروبهم الطائفية لم يكن إرهابياً؟!

أنه لم يكن يوماً عبقرياً ليبتكر مضمونه. وعندما صدر قانون عفو عام 1990، حمل في بنوده استثناء اغتيال ومحاولة اغتيال القادة السياسيين، فتحول إلى قانون منافي للدستور اللبناني المساوي بين جميع المواطنين في الحقوق والواجبات وإلى قانون أعفى من قتل المدنيين والأبرياء من اللبنانيين وغير اللبنانيين بعشرات الآلاف، فيما لم يعف من قتل أحد أمراء الحرب الذين أشعلوها وقادوها قبل

أعلم أن كلمتي هذه ليست من ضمن برنامج الكلمات. ولم أكن حتى أيام معدودة خلت على علم بعقد هذا اللقاء. فقد يسأل بعضكم عن مصدرها وكيف وصلت، وقد يُستدعى أيضاً للتحقيق، كما حصل من قبل مع بعض الصحافيين منذ أول حوار أجري معي حتى آخر حوار، ولو اعترضه الصمت والغياب عقوداً من الزمن. ليس إلا لأن الحكم ضي لبنان يخشاه دائماً قول الحقائق وإحساء الأرقام التي تعزّي سلوك معظم أفرادها المفعم بالفساد وقلة المعرفة والإهمال. وحتى المكتشف عند البعض للتبعية إلى الخارج، ما يؤدّي ضي الحالات الحرجة إلى وضع معرّف قانوناً بالمعالم وحتى الخيانة للوطن، فازالقه هؤلاء الذين يطلقون على أنفسهم صفة أهل الحكم والبيوت السياسية، التي لا نجد مثيلاً لها حول العالم، يفعلون ذلك فقط لتجميل صورة الواقع القبيحة ليس إلا. أما العابرون بمسؤولياتهم غير الدائمين كما نضيفو الكف فليسوا معنيين بكلامنا هذا.

وعليه أشكركم على رجابة صدركم وعلى حضوركم على أمل اللقاء بكم في أحد الأيام.

رأيي ضي قضية اغتيال بشير الجميل

والجميع يعلم أنني نقلت المنطقة بهذا العمل من الوقوع حتى أمر غير محدد في هيمنة المشروع الإسرائيلي. الأميركي إلى الصفة المقابلة التي رست عليها بين 1982 ويومنا هذا.

فالفهوض الاقتصادي بدل الحصار، والورقة الدولية والإقليمية التي ربحتها سورية من خلال تصديها للهجمة الشرسة في الثمانينيات حتى التسعينيات كعمق استراتيجي للبنان، وانطلاق المقاومة الوطنية مع ما حققته، ثم انتصار المقاومة الإسلامية، والعلاقة السورية اللبنانية المتأزعة حتى عام 2005، وطبيعة النظام اللبناني الذي عاد إلى رشده وإلى الصف العربي بعد سقوط مشروع الجميل ورحيل أخيه، والجيش الوطني بدل المنحاز كما كان حاله أيام أمين، والمشاريع كما الأفكار الناجحة كافة، بما فيها التي أخذت في الملف المذكور أعلاه ووقفت وراء إنجازات محلية وخارجية لافتة للنظر، قد حصلت جميعها عندما أزيح الجميل، ولولا ذلك لأكملت إسرائيل اجتياح 82 وادخلت المنطقة في عصر مظلم ومبهم، نشاهد في فلسطين اليوم وفي كل يوم بعضاً من فصوله.

ولولا تلك التضحية مني في سنّ الرابعة والعشرين لتحملت البلاد تبعات الذل والهزيمة، فيما كنت انصرفاً لبناء حياتي الخاصة بنجاح ودون الحاجة لأحد.

وأيّ طرح مناقض لهذا الطرح، يصبّ في خانة التنازل عن البطولات والمواقف المشرفة وعن كل من يقدّم شيئاً من ذاته في سبيل الأمة، تحت مختلف الحجج والذرائع التي لا تحدم في المحصلة غير مصالح سياسية فريضة. وهذا ما لاحظناه من سلوك بعض المسؤولين الحزبيين الذين أهملوني عمداً أو أزغوني بالتعاون مع بعض الأمنيين طوال سنوات، أو خافوا أن أنافسهم على أيّ مكسب أو موقع. وهذا الكلام لا مبالغة فيه، يعكس واقعاً معيشياً دام طويلاً وما زالت بعض آثاره قائمة.

من المتعارف عليه بين مختلف الدول عدم تبني إحداهما لأية قضية اغتيال وقعت ضدّ أية شخصية سياسية، حتى لو كان لأية دولة من تلك الدول علاقة أو مصلحة بالاغتيال.

ومن المعروف بالتالي أن قضية اغتيال بشير الجميل وقعت على عاتقي شخصياً، بحيث لم أنسبها إلى أية جهة رسمية أو حزبية، بل اقتصر النتائج المترتبة عنها على عائلتي وعلي، فيما أوعزّ الأمر بها إلى أحد مسؤولي الحزب المنواري منذ ذلك الحين والمتوفى في الوقت الحالي.

وجلّكم يعلم أنني لم أكن فرداً غير منضبط أعمل لحسابي، بل رفيقاً عقائدياً نفذت ما طلب مني تنفيذ، ما يحمل على الاعتقاد بعلمي بوجود قرار قومي ربما بالتفويض، وعلمي بالبله عمل الحزب مع خلفائه، كما يستشف أيّ كان من الواقع السياسي.

لكن لم يكن دوري ولا في أي يوم التحقيق في القضية بالطبع، إنما أوضحت وجهة نظري لمرة واحدة رداً على تصريحات وتهديدات وإيحاءات مختلف الجهات السياسية خلال السنين الفائتة، التي لم يكن هناك مشكل في الأساس قائم بينها حول هذه المسألة بالذات، إنما تسوية على حسابي.

فقد مضى على ذلك التنفيذ 36 عاماً لم أكلف فيها الجهة الافتراضية التي طلبت مني ذلك أيّ ثمن، بسبب وعبي القومي والتضحية الكبيرة التي تحمّلتها مع ذوي، إذ بلغ عدد ضحايا أسرتي 6، بمن فيهم أبي وأمي، في الوقت الذي لم يُفسّ فيه أي فرد من أفراد أسرة العلم المقيمين في جبيل والعقبة وبيروت، ربما بسبب التفاهات بين المسؤولين الأمنيين في الأحزاب.

وقد فقدت كل شيء ما عدا الحياة حتى الآن، إضافة إلى ما شقّق مني في عهد الجميل ضمن ملف سائتي على سيرته في ما بعد، لقاء إنقاذ البلاد من نتائج استمرار بشير الجميل ومشروعه في الحكم.